

من الأسرار اللغوية في سورة الفاتحة

د. أحمد فليح

جامعة جرش - المملكة الأردنية الهاشمية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي العربي الأمين. سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا.

سورة الفاتحة سورة مكية، لها جلالها وقديسيته، ولها مذاقها وخصوصيتها، لا تصح صلاة إلا بها، يرتلها الناس كل يوم عشرات المرات في محارِب الإيمان بين يدي خالقهم، وتلهج بها ألسنتهم في فواتح فعاليات الحياة، استنجاحاً واستفتاحاً، ويرفعون بها العقيرة، ويمدون الصوت متضرعين خاشعين يتلمسون الهداية إلى الصراط المستقيم، من لدن الجليل الرحيم، متضرعين إليه، سبحانه، أن يرفع عنهم غوائل الشر والغضب.

وتختزن السورة الكريمة من القيم الدينية الثرة ما جعلهم يمدون القول في أسمائها وبركاتها، ونفحاتها التي تنزل في كل مفصلها، فهم يرون أنها حوت كل معاني القرآن العظيم، على قصرها ووجازتها، واشتملت على المقاصد الأساسية في الإسلام، فهي تتناول العقيدة، والعبادة، والتشريع، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بصفات الله وتوحيده، والدعاء، والتوجه إليه لطلب الهداية إلى الدين الحق والصراط المستقيم، وتجنب طرائق المغضوب عليهم والضالين، فجماع هذه القيم انطوت عليها السورة الكريمة، فلا غرو أن سميت أم الكتاب، من قبل أنها جمعت جل مقاصده، على نحو ما ألمع إليه القرطبي⁽¹⁾.

آية ذلك الاهتمام أن كثيرين خصصوا لها التفاسير المسهبة، والأعراب المحصنة⁽²⁾.

ولقد وقر في روعي أن هذا الإعجاز في المضمون والعمق في المحتوى، والخصوصية في الخطاب والإبلاغ، لا بد أن يصاحبه بناء لغوي فريد معجز يحتضنه، ويترجم عنه بعمق ودقة، يتسامى إلى مستوى ذلك الإعجاز، فالمعنى الشريف لا بد له من لفظ شريف يليق به، وذلكم من نواميس العربية وسننها. فاللغة حاضنة وناظمة لكل هاتيك الطروحات اللدنية السامية.

فانشئت إلى تتبع جل ما قيل في هذه السورة من التفاسير التي تشبه أن تكون على قرو واحد، تكتفي بالنظر في القيم الدينية، والتوجهات السلوكية التي يقصد الخطاب الرباني إقامة الناس على محجة الإسلام ومناهجه.

لذا يهجم البحث أن ثمة قيماً لغوية إعجازية تثوي وراء كل هذه الإشعاعات الدينية، والفيوضات الربانية التوجيهية، سواء في مستوى الأصوات أو الأدوات أو الصرف، أو التراكيب، أو الأساليب اللغوية.

تحليل النصوص اللغوية إلى مكوناتها الأساسية من أصوات، وصرف، ونحو، وأساليب وصور، منهج مشتهر في اللغة، يسعف في تبين الطرائق اللغوية والأساليب البلاغية، والرسالة، في المشروع اللغوي برمته، وهذا غرض يترامه البحث، وفي وكدنا أن الخطاب اللغوي جملة من الوقائع والتراكيب والأصوات متعلقة وفق منظومة من العلاقات، التي لا مشاحة في أنها تشكل البنية اللغوية، والخطاب برمته. ومن ثم نلمس التعانق الحميم، والتآلف المنسجم بين تلکم التوجهات الربانية الرفيعة، والمكونات اللغوية بشتى أبعادها.

والبحث يذهب إلى ما ذهب إليه غير واحد إلى أن ثمة تلازماً البتة، بين الأصوات اللغوية، ومفردات الكلم، وأنماط الأساليب مجتمعة، والخطاب اللغوي برمته، تلازماً لا انفكاك له ولا محيد، فما أشكل البنى اللغوية بالمحتوى، وما أشبه الأصوات والصيغ بالتوجيهات الكلامية كلها فيبينهما تواشج لا انفصام له.

والبحث يريد أن يذيع هذه الأطروحة في الناس، كيما يسمع ردود الفعل والتغذية الراجعة، لينتفع بها في إكمال المصنف الكبير، بإذن الله، الذي سينحله بوسم: "أسرار الفاتحة" عقيب تكامل المعطيات المضمونية، واللغوية، والأسلوبية والرقمية، وخلاف ذلك من الأسرار، فهو ورقة في مشروع لغوي واعد، بإذن الله.

والبحث في منتهى أطروحته، ميال أبداً، وبقناعة، إلى أن الدرس اللغوي أفيد ما يمكن في تحليل النصوص اللغوية إلى مكوناتها الأساس، فذلك أقعد في باب الفهم، وتتمير ذلك الفهم في التعرف إلى الأساليب من كتب، ينم على التيقن ولمس الحقيقة.

ونقول في البدء: اللهم إن كان في ما نقوله حق وصدق، وكشف عن بعض أسرارك في أقوالك فاجعله، اللهم في ميزان حسناتي، وادخره لي لديك يوم الفرع الأكبر، وإن كانت الثانية، فلا حول ولا قوة إلا بالله، فالكمال لله وحده، والعصمة للأنبياء، وإنما هو جهد المقل، وكل ابن آدم خطاء، والخير أردت، فإن عثرت، فأقل عثرتي، واستر حوبتي، واغفر زلتي، فالخطأ في جبلتنا، والمجازفة والمغامرة شنشنة مألوفة، وجبلتة في البحث مقبولة.

مهاده استباقي:

من سره أن يستوثق من الجوى النفسي لهذه السورة، فعليه أن يتمثل المشهد، وأن يستحضر الموقف الذي رسمته السورة والحالة التي يبغى رب العزة أن يكون عليها العبد، وهو يقف بين يدي ربه يستنزل من لدنه الرحمات، ويتعطفه أن يغسل حوبته، وأن يضعه على محجة الهداية على الصراط المستقيم، تلکم الاستقامة التي ينشدها رب العزة، ويسعى العبد إليها راشداً سوياً، وقد أعد لها الأسباب، وهياً لها الدواعي.

فالعبد يقف مستكيناً خاشعاً، مستشعراً الذل والانكسار، يتوسل بالتمدح والتعطف، كيما يستجر الرأفة والرحمة والإشفاق، إن في صلاته وهو خاشع متضرع، وإن في توسله أو تعبده في محاريب الإيمان، يتطلب الرحموت، ويستدفع الرهبوت. فالغرض الرئيس، وهو نواة الخطاب الرباني، هو طلب العبد من ربه الهداية إلى

الصراط المستقيم، صراط الإسلام الصراط السوي، الاستقامة في كل مناحي الحياة، غير تلكم التي كان عليها المغضوب عليهم أو الضالون، إنها صراط الذين أنعم الله عليهم.

وفي هذا الإطار فإن العبد ينبغي أن يتأدب بين يدي خالقه، وأن يقدم بين يديه، وأن يتوسل بأدوات تعينه على الترقق بين يدي الخالق، والتضرع بالتمدح، والإقرار بالربوبية له وحده، ووسمه بالرحمن الرحيم، له الحكم في الدنيا والآخرة، وخص العبادة به وحده، وبعد أن استوثق من نقائه وصفائه وصفا له الموقف بصفاء الروح وشفافيتها، وقدم الاستحقاق اللائق، على نحو ما يحصل بين العباد من الترقق وحسن التأني، وكمال التلطف والتضرع بجلال الموقف ورهبته، ولما استأنس وأحس القبول ما فتى يقول: اهدنا الصراط المستقيم، الدين القيم الخير، دين الحق، وغاية ما يبغيه الله من عباده وما يبغيه العبد من أخيه العبد، وما يرجوه العبد لنفسه الاستقامة على الناموس الحق، وسمت الفضيلة، وشرعة الله.

وسنرى اللغة بكل مستوياتها أنها كانت رداءً لهذه الرسالة، وحاضنة لتلك الرؤية، وذلكم التوجه.

ولنا أيضاً أن نستذكر أن السورة الكريمة في منتهى أطروحتها تستهدف الإنسان العربي يومذاك، إذ كانت شخصيته الدينية مسطحة فلم يكن تجذر في عقيدة راسخة محكمة، إن هي إلا أوثان وأصنام هشة، أو يهودية بائدة، أو نصرانية متباعدة، فكان الناس طرائق قديماً في حياتهم العقدية، فالسورة صادفت خلاء فشغلته، وخللاً فسدته، فكان من همها وسدمها صوغ هذه الشخصية صياغة جديدة، بحقنها بجملة من الرؤى والتوجهات السلوكية، لتعنو إلى بارئها وحده، نقية صافية شفافة متألفة لا تشوبها شوائب الشرك، خالصة لا تكدرها أدران الوثنية أو الارتكان مرجعية شركية، فانتفضت هذه الشخصية الدينية الإسلامية مسمحة ندية رحية، مهطعة لله، شاكرة كل عناصرها للخالق، تماهت الروح بتلك المفردات، واندغمت بها تيك المثالات، وصارت دانية من الخالق بعدما صيغت صوغاً على مثال النموذج المرسوم سمت النفس بالأمل وتحقق الدنو من الخالق، ينفحها بنسغ الكمال فصارت حينئذ تجأر: اهدنا الصراط المستقيم، مباينة لتلك الشخصية المتهافتة على حطام الدنيا، تباكر اللذائذ، وتعافر الشهوات، فانسخت من ربة الشهوة، وانفتلت إلى ربحا آمنة مطمئنة، فرسم البوح الرباني الصورة المهذبة للمسلم، وهو يقف بين يدي ربه، مضمخاً بعبير التوحيد، متألقاً بنضارة الابتهاال والضراعة إلى الخالق الأوحد، كيما يصير دستوراً للمسلمين في كل آن، لا يتخلون عنه سحيس الليل وأبد الدهر، يفديه بالغالبي والنفيس، يتعاطاه في كل حركاته وسكناته، فيعتاد الصدق والأمانة والاستقامة، فيصير المسلم أمثلة سامقة، ونموذجاً سامياً للبشرية كلها.

فرسمت السورة الكريمة الشخصية المؤمنة النموذج، وأجابت عن أسئلة جملة في أدبيات المناجاة والتأدب، ما زلنا نتحذر فيها فشككت وعينا السلوكي، كلما أوغلنا في صلاة، فإننا عقيب ذلك نقدم بين يدي دعائنا جملة من الأوراد حتى إذا ما قر في روعنا الدنو من الخالق ورضاه ولجنا في الدعاء والطلب.

منهج البحث:

قبل أن نوغل في التحليل اللغوي المعتاد للسورة الكريمة، للكشف عما تنطوي عليه من أسرار لغوية تركيبية بديعة، معجزة، نلمح إلى المنهج الذي سنتقبله في غضون هذه المسيرة، وهو منهج لحبه جلة من العلماء، مشخص لدى الكثيرين، ولكنه ليس مقولة منتهية لا معقب عليها، " فيجب أن نتعود على فكرة أن العلم ليس جسماً من المعرفة، ولكنه نسق افتراضات، أي نسق من التخمينات والتوقعات لا يمكن تبريرها مبدئياً، ومع ذلك نعمل بها طالما أنها تتماشى مع الروايات، وهذه الافتراضات لا يمكن أبداً أن نقول عنها إنها صادقة أو يقينية إلى حد أو حتى محتملة " (3).

سوف يعمد البحث إلى مستوى لغوي محدد، وهو معطى دقيق متين من القرآن الكريم، وهو سورة (الحمد)، يعمد إلى وصف مكوناته اللغوية، ويشخص بنيتها في مستويات متنوعة، يصف هذه الظواهر، لمعرفة الطريقة التي تم بها البناء اللغوي، في المستويات الصوتية، والصرفية، والتركيبية، والأسلوبية، ليقف من ثمة على الخصائص اللغوية، في الجملة، لهذا الخطاب اللغوي الديني، الذي يتوجه إلى تفعيل مشروع سلوكي لدى الإنسان المتلقي، ليستوعب هذه الرسالة اللغوية، وينفعل بها. ومن ثم يعمد البحث إلى الإجابة عن سؤال مشروع: هل القيم اللغوية والتعبيرية التي وظفها النص اللغوي من الجلال والإعجاز والجمال، بوزان القيم التوجيهية الدينية التي أذنت بها السورة، وهل الأدوات الفنية المستفادة الحاضنة لتلك التوجيهات الربانية استوعبت تلك القيم، وهاتيك التوجيهات بالمستوى الإعجازي المدهش المستفز. فتخلقت لدينا جملة من المفصلات الدراسية التي وقفنا عليها بالبحث:

1. المستوى الصوتي:

- i. الصوت الداخلي في شبكة العلاقات الصوتية.
- ii. تكرار الأصوات في السورة كلها.
- iii. رؤوس الآي والفواصل السجعية.
- iv. خلاصة.
2. المستوى الصرفي المفرداتي، وجملة من الأدوات الرابطة.
3. المستوى التركيبي النحوي، والأساليب النحوية.
4. المستوى الأسلوبي التصويري والبياني.
5. شمولية الدلالة المفرداتية وانسجامها مع الجو النفسي في حقول منتمية للنص.
6. فذلكة البحث.

ونزعم أن وصف المعطيات اللغوية، في مستوياتها المتنوعة، وصفاً يبرز المكونات، منهج متبع وناجح كثيراً في تبين مفصلات الكلم وأنواعها، ليرفد الدرس اللغوي وظيفياً وواقعياً، وهو مذهب متقبل مشتهر، لعله خير من التشاغل بأنظار نظرية تؤرق وترهق الدارس، من غير حقنه بقدرة عملية على تحليل النص اللغوي، تحليلاً تشريحياً.

" إن دراسة اللغة، على ما جرى عليه العرف، سواءً كان المنهج وصفيًا أو تاريخيًا، تندرج في أربعة مستويات هي: مستوى الأصوات، ومستوى الصرف، ومستوى النحو، ومستوى المفردات، ويشمل الاشتقاق والدلالة⁽⁴⁾. وهذا الدرس اللغوي في هذه الآية هو الدرس اللغوي الوصفي الأفضل، والبحث يقدم ما يشبه أن يكون اعتذاراً قليلاً، لما قد تتلبسه العاطفة الدينية في التلقي، ولا يسيغها البحث العلمي، أو في حرارة المرافعة، ولا ندعي فيه الكمال بل الكشف عن هذا المخزون ليس غير وهذا الدرس اللغوي في هذه [السورة] .

1. المستوى الصوتي:

ما زلت أذهب إلى أن في أصوات الكلمة، أي كلمة، رسيماً من الدلالة الوظيفية التي تناط بها، وهذه الأصوات أينما وقعت تشي في استكناه معنى الكلمة، وتنداح من مفاصلها إشعاعات ترسخها لمعنى أقوى من آخر، وما زلت أدري أن هذه شنشنة ألفناها منذ الخليل بن أحمد، رحمه الله، وتلميذه سيوييه، وإلى هذا أشار إلى أن في كلمتي صر الجندب، وصرصر لصوت البازي، ففي الأولى استطالة ومد، وفي الثانية توهم التقطيع في صوته، وإلى مثل هذا أشار سيوييه، في دلالة المصادر على معانٍ متنوعة بتنوع الأصوات⁽⁵⁾. ونقل السيوطي عن المعتزلي عباد الصيمري: إن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية، حاملة للواضع على أن يضع، قال: وإلا لكان تخصيص العين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح⁽⁶⁾ "أما ابن جني، فيلسوف العربية وفقهها، فهو جذيل هذه المسألة المحكك وغديقها المرجب، فقد تمسك بهذه المسألة، وأظهرها متلبهة مقنعة، فهو يرى أن العرب جعلوا الصاد في (صعد) لأنها أقوى، كما جعلوا السين في (سعد) لضعفها، والصعود في الجبل أو الحائط يشاهد بالحس، في حين صعود الجدل لا يشاهد بالحس⁽⁷⁾. ويظل ابن جني ينوه بالقيمة التعبيرية التي للحرف، إذا وقع في أول الكلمة، أو وسطها، أو آخرها، يقول: إن في تقديم ما يضاهاي أول الحديث وتأخيرها يضاهاي آخره، وتوسط ما يضاهاي أوسطه سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب، وإن ازدحام الدال والتاء، والطاء، والراء، واللام، والنون، إذا مازجتهم الفاء على التقدم والتأخير، فأكثر أحوالها، ومجموع معانيها أنها للوهن، والضعف، ونحوهما، كما في تالف، ودالف، ودنف، وفاتر، وغيرها⁽⁸⁾.

ويحاول ابن جني بنظراته الثاقبة، وذهنه الصافي أن يستخرج قواعد صوتية متناهية في الدقة، لو توبعت وبني عليها لدى المحدثين لأثمرت قواعد صوتية مستطابة.

وقد أوطأ بعض المحدثين في أعقاب القدماء، في هذه الرؤية، يقول زكي الأرسوزي: يتمتع الحرف العربي بقيمة بيانية، وإن تحددت هذه القيمة بمنظومة الكلمة الصوتية، إلا أن بعض الحروف يقوم في هذه المنظومة بمثابة نبرة الإيقاع، في تعيين بيان معنى الكلمة، وفي الحرف الأول من الكلمة، على الأغلب، بهذه الوظيفة⁽⁹⁾ .

فهو يتابع ما مرد عليه القدماء، ولكننا نخالفه في حصر الدلالة الصوتية للكلمة بالحرف الأول، بالضرورة، فقد يستحوذ صوت أقوى في الكلمة، فيشي بالدلالة المقاربة في اللغة الواحدة.

ويرى عدنان بن ذريل أن هذا السوق للحروف على سمت المعاني، كما هو موصوف هنا، هو اتفاق بعدي، أي نلاحظه بعد حدوث تجربته، والمناسبة بين الحروف ومعانيها بالتالي تظل بدون تعليل أو تفسير (10).

وهذا الرأي ينطوي على مقارنة توافقية مشوبة بالحذر من التعميم، الذي يتفلسف أحياناً من الانضباط والاطراد.

وفي رأي البنيويين أن ليس ثمة علاقة طبيعية ماثلة بين الصيغة الصوتية لكلمة من الكلمات وبين معنى هذه الكلمة، وأن الإدلاء بحروف في أية لغة من اللغات لا يتحدد من خلال المعنى، أو الشيء المشار إليه، وإنما المعنى اللغوي مستقل عن الحروف التي نستعملها، وهم يدللون على ذلك بتعدد اللغات، وأن شيئاً بعينه يمكن التعبير عنه بألفاظ من صيغ صوتية مختلفة (11).

لا مرأى في هذا البتة، فنحن معهم بأن الأصوات في اللغة الواحدة قد تشخص المعنى وتوحي به، وليس في اللغات على الإطلاق، أما التعميم على اللغات جميعاً فهذا لا يخلو من تهاوت وتعسف.

ونحن في عربيتنا نلاحظ أن التناغم في نبض الأصوات مع إيقاع المعنى والدلالة، ملحوظ في بنائية شاخصه فريدة، ولا سيما في قصار السور في القرآن الكريم. وقد تجمع لدينا قدر مشترك جعلنا نصدع بهذه الرؤية من غير تحرج، وأسوق للقرآن الكريم نماذج بدت لي تلتقطها من سورة: قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، فالصوت المهيمن المجلجل هو صوت القاف، وهو يرتبط بوثاقة بموضوع ثقيل صعب معجز وهو الفلق والخلق، والغسق والوقب، والعقد، ولكن إذا انتقل السياق إلى موضوع أروح وهو النفث والحسد، رقت الأصوات ولانت. ومثل سورة الناس. أو قوله تعالى: اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، قضية الخلق والقراءة أمور شاقة، فجاء هذا الصوت الثقيل الخارج من اللهاة بمشقة تضاهي المشقة والإعجاز في الموضوع. وقد أفردنا بحثاً لهذه الأطروحة وسمناه: الإعجاز الصوتي في قصار السور، محكم منشور، بحمد الله.

فهل المنظومة الصوتية التي تشكل شبكة من العلاقات الصوتية، تؤشر على المنظومة العقديّة، والقيم الفكرية والتوجيهية التي تأتلف منها السورة؟ نحن نزعم هذا وسنعزز هذا الزعم بمؤشرات تنتهي بنا إلى يقين بإذن الله وهلم الآن إلى الأصوات الداخلية في سورة الفاتحة، في كل الفضاءات التي تنطوي عليها السورة الكريمة، متقوين مستهدين بآراء الموافقين على الربط بين الصوت والدلالة.

الأصوات الداخلية:

سوف نمضي في منهجنا هذا مستأنسين برأي ابن جني، في هذا الصدد، والذي لحب هذا المنهج، وأذن به وصدع حين يقول: قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بها ترتيبها

وتقدم ما يضاهي أول الحديث، وتأخير ما يضاهي آخره، وتوسيط ما يضاهي أوسطه، سوقاً للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب. وذلك كقولهم: بحث، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، والحاء لصحلها تشبه محالب الأسد وبرائن الذئب ونحوهما، إذا غارت في الأرض والثاء للنفث في التراب، ومثلها الفعل شدّ " (12).

ولكن هذا المنهج لم يرق الدكتور كمال بشر إذ قال: وابن جني ركز عنايته على الكلمات المفردة، لا على الجمل والعبارات، كما أنه بالغ إلى حدٍ ما في التماس العلاقة بين الأصوات والأحداث المعبرة عنها بالأصوات (13).

وهذا الرأي المعاكس الراض لقالة ابن جني، أظن بها الدكتور إبراهيم أنيس: " ويغالي بعض اللغويين فيتصورون من أجل هذه الظاهرة أن هناك ترابطاً طبيعياً بين الألفاظ ودلالاتها، ولا يخطر ببالهم أن القدرة على استيحاء الدلالات مرجعها إلى ما يكتسبه المرء من ألفاظ معينة، ومن ربط بين تلك الألفاظ ودلالاتها، ربطاً وثيقاً، وليس مرجعه أصوات تلك الكلمة (14).

ولسنا قادرين على متابعة الدكتور كمال بشر بأن ابن جني اكتفى بالكلمة المفردة فالأصل أن الإشعاع الصوتي، والإيحاء ينبعثان من الكلمة ويوحيان ضمن السياق النصي، هذه حقيقة لا نماري فيها، ولكن هذا الإشعاع يبقى كامناً ولملموحاً في الكلمة سواءً في النص أو خارج السرب، ولكنه يتقوى في السياق، ونقول أيضاً في الشق الثاني من مقالته إن مسألة الإشعاع الصوتية تتم في اللغة الواحدة، كما أنها أحياناً تتفلتولا تطرد أو تنقاس، ولكنك تظل تمس رسيماً خفيفاً أبداً بما يوحي بالمعنى ويحكيه أو يشف عنه. وهذا ما أشار إليه أولمان فقد أورد كلمة فيها صوت (S) قال إنها بأصواتها تشبه أصوات الأفاعي الذي يستشف من تلك الكلمات في ذلكم البيت (15) وأضاف: إن المعنى يجب أن يكون صدى للصوت، في إشارة إلى قصيدة (كيتس): (أغنية إلى بلبل) ثم قال: وقد تؤدي شدة التأثير بالباعث الصوتي على توليد الكلمات أو الأصوات إلى ما يكاد يكون اعتقاداً غامضاً في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى، ولقد ابتدعت عدة نظم دقيقة ترمي إلى بيان القيمة التعبيرية المتصلة بالأصوات المختلفة " (16).

بيد أن فنديس يرى أنه من الحمق الحكم بوجود علاقة ضرورية بين أصوات الكلمة ودلالاتها. وقد سخر من أولئك الذين نادوا بهذا الرأي أمثال توماس الإكويني، إلا أنه عاد ليعترف بأن بعض الألفاظ أقدر على التعبير من البعض الآخر... وكل كلمة أياً كانت توقظ دائماً في الذهن صورة ما بهيجة أو حزينة، رضية أو كريهة، كبيرة أو صغيرة، معجبة أو مضحكة، تفعل ذلك مستقلة عن المعنى الذي تعبر عنه، وقبل أن يعرف هذا المعنى في غالب الأحيان (17).

هذه الصورة المشعة من الكلمة المفردة المعزولة عن سياقها أو المندمجة، في الغالب تنشق من الصورة الائتلافية لجملة الأصوات التي تشكلها، خلافاً لما أشار إليه الدكتور إبراهيم أنيس وأنكره لدى ابن جني.

وتظل هذه المسألة تراسلية جدلية تداولية، ولكنها لو مخضت بين المؤيد والمفند لأسفرت عن معطيات مؤيدة تلذ الدرس النحوي، والتحليل اللغوي. ولولا أن هذه الكلمات كانت متألفة مشعة موحية معجزة في القرآن الكريم، لما وظفها على هذه الصورة الانتقائية التي تبهر السامع وتجسد المعاني والتوجيهات في الخطاب الديني، وهي تخف أو تثقل على وفق المعنى المحبوء تحتها.

وتنطوي سورة الفاتحة على منظومة صوتية باهرة، ولقد انفقت حولاً كريماً وأنا أنقر في هذه الشبكة من العلاقات الصوتية التي تتآزر بشكل حميم لتشكيل إيقاعاً جاذباً يشنف أذن المتلقي، فيحدث لديه الدهشة والصدمة كيما يتلقى الخطاب الديني، والرسالة الربانية بشوق، فيحدث التفاعل المتوخى بين النص والمتلقي، من قبل أن المتلقي يتلقى شفويماً وأذنياً، لذا حرص النص القرآني على التركيز على هذه الأصوات المعبرة ووظفها توظيفاً مستطاباً أوقع السامع في دهشة وحيرة متسائلاً: أشعر هذا أم سحر، أو من كلام الجن هذا أم من كلام البشر؟!

وفي الإيقاع الداخلي تكشف النص القرآني في محاور:

الإيقاع التجاوري في الأصوات.

الإيقاع الكلي في الفواصل ورؤوس الآي.

الإيقاع المقطعي.

الإيقاع التجاوري في الأصوات:

أظهر الأصوات في سورة الفاتحة هما صوتا الميم والنون، وقد بلغت عدتهما (26) ستة وعشرين صوتاً، من مجمل الأصوات الكلية. على حين بلغ صوت الباء الصامتة (4) أربعة أصوات وبلغ مجموع الأصوات كلها ما عدا الحركات وأداة التعريف: (80) ثمانين صوتاً. فالميم والنون صوتان مستحوذان على الفضاء النصي كله، وعلى تموجات الدلالة كلها. فما دلالة ذلك؟ لعل لعلاقة صوتي الميم والنون دلالة قوية بالاحتوى العام للسورة.

قد قيل عن صوتي الميم والنون وارتباط رسميها ومعناها بالحوت أو بصورة عين الناقة، أو بالخمرة (18) . ولكن الدكتور يحيى عباينة لم يقبل هذه التفاسير كلها، مع أنها جميعاً تتحدث عن صورة هذا الحرف لا عن طبيعة صوته.

والنون صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة ومخرجها التجويف الأنفي مثل الميم، ويشبهه الدكتور محيي الدين رمضان صوت النون بصوت النحلة في الهواء وصوتها سنخي خيشومي (19).

ويعرض للنون من الظواهر اللغوية ما لا يشركها فيه غيره، لسرعة تأثرها بما يجاورها من أصوات، وهي بعد اللام من أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً في اللغة العربية (20).

وأنا أزعج أن صوت الميم والنون صوتان في الغالب قد يجسدان ملحظاً ثانوياً وراء دلالتهما في المفردات ينم في هذا الموقف على الحزن، والخوف، والترقب، والأمل، والسكينة المفعمة بالتشوف: فانظر معي، أيها القارئ إلى المعطيات الآتية:

الرحمن، الرحيم : إحساس بالأمان والأمل والسكينة.

مالك يوم الدين : الأمل.

نعبد نستعين : الاستسلام والانقياد والراحة والإخلاق.

اهدنا الصراط المستقيم : الرجاء والخوف والأمل.

صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين: إحساس بالأمل والخوف والرجاء.

والأصوات متألفة منسوقة على وفق حالة نفسية متموجة من الرجاء، والأمل والحزن، والخوف، والترقب، والمرء واقف بين يدي ربه، يعنو له في منتهى الذل والخوف والأمل، يستعطفه أن يمن عليه: اهدنا الصراط المستقيم.

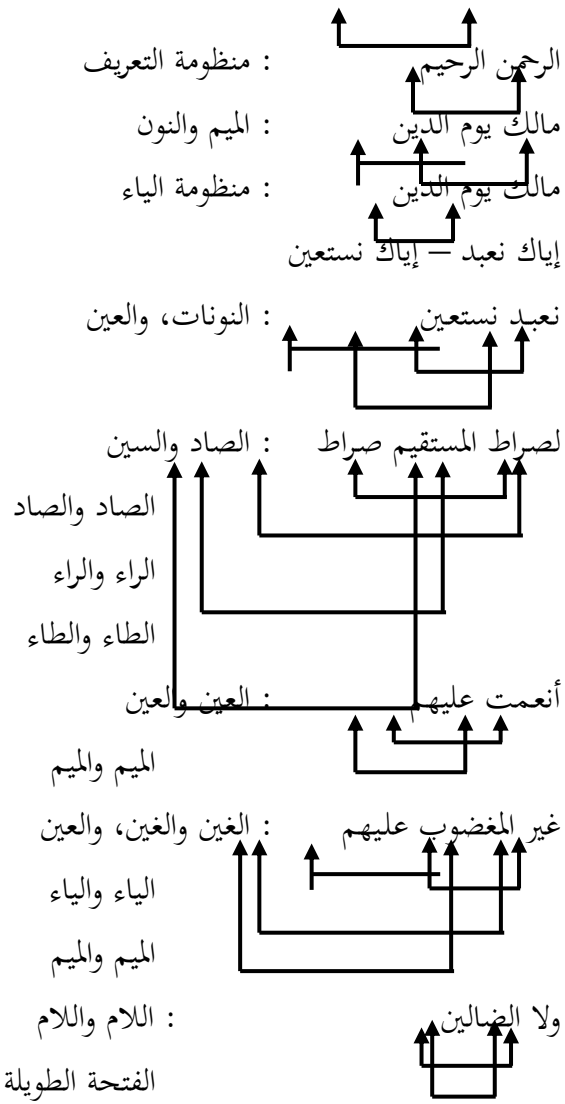
وأنت تلحظ هذا التلاحم العفوي، والتعانق التلقائي بين هذه الأصوات المتجاورة في هذا الامتداد الأفقي بين الأصوات شاملاً مفاصل السورة كلها في ما سميناها: الإيقاع التجاوري في الأصوات، وهو ملموح في هذا التشاكل الصوتي التجاوري في هذه المعادلات:

الحمد لله : منظومة اللامات

الرحمن الرحيم : منظومة الراءات

الرحمن الرحيم : منظومة الحاءات

الرحمن الرحيم : الميم والنون



وأجمل حالات الأصوات ما تباعدت مخارجها، مثال ذلك: الحمد لله رب العالمين: الحاء حلقية، الميم شفوية، الدال أسنانية لثوية. فالتباعد واقع، والتدرج المدهش المعجز واضح يشير إلى أن الحمد سلوك ينبغي أن ينبع من الداخل.

ويحس القارئ، فعلاً، متجرداً من العاطفة الدينية، أو الافتعال أولي ذراع النصوص، أولي عنق اللغة، يحس إن كان منصفاً موضوعياً: اتساقاً وائتلافاً يسترعي من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر، على أنه ليس بأنغام الموسيقى، ولا بأوزان الشعر، فأول شيء تحسه الأذهان هو ذلك النظام الصوتي البديع الذي

الفواصل المتساوية في الوز المتحددة في حرف التقفية تماماً، ذات وقع متحد تبعاً للوزن والقافية، ولأمر ثالث لا يظهر ظهورهما، وإنما ينبعث من تآلف الحروف، وتآخيها في الكلمات وتناسق الكلمات في الجمل فكأنما لحمت الكلمة بالكلمة لا تبغي عنها انفكاكاً، أو كأنما الجمل كلمة واحدة تآلفاً واتحاد كلمات (23).

ونلاحظ هنا السجع وتوافق الحرف الأخير في:

الرحيم، الرحيم

المستقيم

ولكن الوزن مختلف، والقافية واحدة.

أما قوله تعالى:

العالمين، الدين، نستعين، الضالين

فاتحاد في المقاطع:

مين، دين، عين، لين

فالفواصل، كما نلاحظ، عجيبة في هذا التنوع الذي يضفي على النص حلاوة وغنى داخلياً، وإيقاعاً.

فمن خصائص هذه السورة، شأنها شأن القرآن الكريم كله، وقع الأسلوب القرآني، ونقصد بوقعه أمرين: نظامه الصوتي، وجماله اللغوي (24).

فالوضوح في الفاصلة القرآنية جلي واضح، يبدو من هذه القافية المسبوقة بالصوت الصائت وهو: الكسرة الطويلة التي أعقبتها الميم تارة أو النون تارة أخرى بما يوحي بالهدوء والخشوع، وطول الأمل بين يدي الخالق سبحانه.

الإيقاع المقطعي:

فالنظام المقطعي له تأثير فاعل في بناء الكلم وتحديد تفوقه، ودرجة الوضوح فيه، فالمقاطع المفتوحة كثيرة، تنم على أن باب الأمل مفتوح، والهداية مأمولة. فالمقطع: مجموعة من الأصوات المفردة الصامتة مع الصائتة، والمقاطع أنواع:

1. مقطع مفتوح: ينتهي بحركة مثل: سَ، حَ
2. مقطع مغلق: وهو ما انتهى بساكن مثل: مَن،
3. مقطع مضاعف الإغلاق أي المنتهي بساكنين مثل: فِرْدُ.
- 4.
5. ومن جهة الطول والقصر:
6. مقطع قصير، ويألف من صامت وحركة مثل: فَ

7. مقطع متوسط: ويتشكل من صامت طويل مع ساكن مثل: يا أو صامت متحرك مع ساكن مثل: قُمْ.
8. المقطع الطويل: ويتكون من صمت مع حركة طويلة أو أكثر. مثل: باب، عند.
9. وأكثر الأشكال شيوعاً في العربية هو المقطع القصير المفتوح مثل: ب (25).
- 10.
11. وهذه نظرة عجل على أظهر المقاطع في السورة لا سيما القافية.
12. بس مل لا هر رح ما نر ر حيم
13. ال حم د لل لاه هر رب بل عال مين
14. وهكذا نلاحظ الطول الشاخص في جملة المقاطع ولا سيما الفاصلة:

حيم : صامت + حركة طويلة + ساكن = مقطع طويل مغلق

لِين : صامت + حركة طويلة + ساكن = مقطع طويل مغلق

مين : صامت + حركة طويلة + ساكن = مقطع طويل مغلق

حيم : صامت + حركة طويلة + ساكن = مقطع طويل مغلق

دين : صامت + حركة طويلة + ساكن = مقطع طويل مغلق

عين : صامت + حركة طويلة + ساكن = مقطع طويل مغلق

ميم : صامت + حركة طويلة + ساكن = مقطع طويل مغلق

قيم : صامت + حركة طويلة + ساكن = مقطع طويل مغلق

هم : صامت + حركة قصيرة + ساكن = مقطع متوسط مغلق

هم : صامت + حركة قصيرة + ساكن = مقطع متوسط مغلق

لِين : صامت + حركة طويلة + ساكن = مقطع طويل مغلق

هذا النسيج المقطعي لو تتبعناه في كل فضاءات السورة الكريمة، ومفاصل إيقاعها لألفينا الطول ملموحاً في جل مقاطع هذه السورة الكريمة، ودلالاته، والله أعلم هو الترم ورفع الصوت للإحساس بالأمل، والمرء واقف، إن في التلاوة، وإن في الصلاة، في رحاب الحضرة الإلهية، وشاخص بين يدي الرحمن لا يلوي على شيء إلا طول المناجاة والتضرع، وطلب الهداية والاستقامة ليرضي الله فهو مسكون بالرحمات والرهبوت.

خلاصة:

أصوات هذه السورة الكريمة فيها تطرية وتندية وإسماح، وانسجام، وسخاء من سخاء الله تعالى والمرء واقف في محراب الله، يحس الأمل، والخوف، والرغبة، والاطمئنان بأنه في حضرة كريم يتوجه إليه عقب الأخذ بالأسباب، والتهيؤ باستجلاب الرحمة، واستدفاع الشر، بتجنب كل ما يسخط الله. فهم المسلم هو الرحمة،

والاستقامة. فاستقم كما أمرت وعقبها تنزل الرحمات من لدن الرحمن الرحيم، وليرفع المسلم صوته ودعاءه دون وجل إذا كان كلفاً بموجبات الرحمة. وتشف هذه المعاني من الأصوات جلية. وبينهما تآلف ملموس.

2. المستوى الصرفي:

ونعني به معالجة المفردات بأعيانها، دون الدخول في نسق نصي. فإذا أسلمنا بأن اللغة نسق أو نظام يصبح الأمر أمر تحليل بنيتها، وحيث أن كل نسق يتكون من وحدات يؤثر كل منها في الآخر، فإنها تتمايز عن الأنساق الأخرى بالترتيب الداخلي الذي يمثل بنيتها، وتتكرر بعض التجمعات بينما تندر أخرى، بينما لا تتحقق تجمعات أخرى رغم إمكان ذلك نظرياً. والقول بأن اللغة ما أو لجزء من لغة ما مثل صوتياتها ومورفولوجيتها، نسقاً تنظمه بنية يجب الكشف عنها ووصفها من منظور بنوي يجب أن يضع يده على الوحدات اللغوية الأصغر داخل النص (26).

فالمفردات التي تشكل فضاء النص في تجاورها تعطي نسقاً فذاً، وإيقاعاً فريداً لا يملك المرء إلا أن يعجب به.

قوله تعالى: الحمد: فأداة التعريف هنا أفادت الجنس كله كما في:

فأرسلها العراك ولم يذرهما ولم يشفق على نغص الدخال
وقيل هي للاستغراق (27).

وإذا جعلنا البسملة جزءاً من السورة، على مذهب الشافعي، خلافاً لأبي حنيفة الذي ذهب إلى أنها ليست آية (28). فينبغي أن ندخل مفرداتها في المقاربة اللغوية:
بسم : الباء زائدة، في قول الكسائي، وللإستعانة (29).
وسنرجع الكلام على الأدوات إلى إبان آخر.
فلو امتحنا المفردات اللغوية التي وظفها النص وجدناها على هذا النحو:

(الرحمن) : صيغة مبالغة تفيد الكثرة

(الرحيم) : صفة مشابهة تفيد الاستمرارية

فليس كل كثير، بالضرورة، دائماً، بيد أن رحمة الله كثيرة، ودائمة، مع المحسن والمسيء والتائب، والغافل، لا تتوقف البتة.

قوله تعالى: (مالك يوم الدين) حدد الملك بالزمن (يوم الدين).

ما الغرض من ذلك؟ الغرض، والله أعلم، أن الله مستأثر بالملك يوم الدين في الحياة الأخرى، لا يشركه فيها أحد، لمن الملك اليوم، لله الواحد القهار، أما الملك في الدنيا فكل البشر يملكون، وإن كان ملكهم لا يتماثل في الدرجة والنوع، مع ملكه، سبحانه.

(يوم الدين) : وهو يوم القيامة، ولكنه سماه الدين تعريضاً أو تحليلاً، وتقريباً للنفس، لكي تتمسك بالدين الذي هو الفيصل يوم القيامة.

(نعبد) و (نستعين) : كلمتان إحداهما تفضي بالضرورة إلى الأخرى، فالعبادة انقياد إلى الله، ويترتب عليها طلب العون من الله.

لكن لماذا (نستعين) فزيادة السين والتاء للطلب الذي لا يجاب إلا بعد العبادة، لذا قدم العبادة على الاستعانة.

(اهدنا) : أمر بمعنى الدعاء، في حركة جماعية.

(الصراط المستقيم) : قصد به الدين الإسلامي، وما يلازمه وهو الاستقامة في القول والعمل، مع كل الناس. ولو حاولنا أن نستجمع مفردات السورة لوجدناها:

الحمد، الرب، العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد، إياك نستعين وهذا المحور مديح وثناء على الذات الله، ليستوجب المسلم الهداية فجاءت المفردات مجسدة.

أما: اهدنا الصراط المستقيم

صراط الذين أنعمت عليهم

غير المغضوب عليهم

ولا الضالين

هذا المحور من المفردات، كلماته لزت في قرن واحد هو الهداية على الصراط المستقيم، ولكنها هداية مشروطة، مبرأة من المغضوب عليهم ومن الضالين، (أنعمت عليهم) أسند فضيلة النعمة إلى الله للترنم بها.

(غير المغضوب عليهم) جعل الفاعل في الغضب مجهولاً لصون الذات الإلهية وللسخرية والنعي على هاتين الفتيتين، ونبزهما بصفات غير مرضية لينبه النص القرآني على وجوب تجنبهما.

(الحمد) مصدر للفعل حمد، وهو للدلالة على حدث مطلق من الزمان، والديمومة.

(رب) صفة مشبهة، لدوام الاتصاف. (العالمين) جمع عالم، وهو ملحق بجمع المذكر السالم للتكثير. (

مالك) اسم فاعل، (مستقيم) صفة مشبهة، (المغضوب) اسم مفعول، وتفيد أيضاً الدوام، (الضالين)

صفة مشبهة تفيد الاستمرار. فالمشتقات كلها تتعاور مسألة الديمومة، وتحققها للدلالة على أن حمد الله

ونعمه دائمة مستمرة، ليصير الخطاب مؤثراً مقنعاً.

الأدوات النحوية في السورة:

وهي جملة من البنى الصرفية، تؤدي وظائف سياقية جليلة، وتجعل النص متماسكاً مترابطاً، وتبرز المعاني الدقائق، وخصائص النص في صورة أقرب وأوضح وتشكل خصوصيته السياقية. وقد وقع لنا في

السورة الكريمة جملة من هذه الأدوات:

1. ال التعريف: وقد وردت غير مرة في السورة بدلالات ملموحة في النص، وفي التراتيب الآتية:

الحمد، العالمين، الرحمن، الرحيم، الدين، الصراط، المستقيم، المغضوب عليهم، الضالين.

تكررت (ال) تسع مرات في مكونات لغوية لافتة، وفي كل مرة تؤدي غرضاً ذا منحى خاص.

- (الحمد) ال تفيد هنا الاستحقاق، أو الاستغراق، أو للجنس كما في:
- فأرسلها العراك ولم يذدها ولم يشفق على نغص الدخال (30)
- أي أنه خصص الحمد وهو كل الحمد، وجعله محوضاً لله تعالى.
- (العالمين) تفيد ال التعميم والشمول.
- (الرحمن) (الرحيم) تفيد التفخيم والتعظيم.
- (الدين) ال تفيد العهد، أي الدين المعهود، وهو اليوم المعلوم، أي يوم القيامة.
- (الصراط) قصد بأل العهد، والتعيين، أي صراط الحق، ودين القسط.
- (المستقيم) الغرض من التعريف المتابعة للصراف في التعيين، والتحديد من قبل أنها نعت لها.
- (المغضوب) ال هي العهدية، القارة في الأذهان حول مفهوم المغضوب عليهم، ومعلوم هذه الشريحة التي يتواضع عليها المجتمع إذ ذاك.
- (الضالين) وهي هنا تفيد العهد الذهني، لهذه الفئة الموسومة بهذه السمة، أو لعلها تفيد جنس الضالين على العموم، الذين زاغوا عن طريق الحق، وانحرفوا عن جادة الإيمان.
2. حروف الجر:

- (لله) اللام حرف جر يفيد الاختصاص، فالحمد مخصوص به سبحانه، حقيق به وحده، لا يشركه أحد في تفضله في نعمائه السابغة.
- (عليهم) على، يفيد هنا الاستعلاء المجازي.
- (بسم) الباء حرف جر يفيد الاستعانة، وجعل الاستعانة بالله وحده والجار والمجرور هنا إما يتعلقان بفعل محذوف تقديره: أبدأ أو متعلقان باسم مبتدأ، والتقدير: البدء باسم الله.
3. حروف العطف: الواو في (وإياك) و (ولا الضالين) للتتابع بين الحقيقتين الدينيتين.

3. المستوى التركيبي النحوي:

- عينا به التراكيب النحوية الحاضنة للخطاب الديني، وللرسالة الإبلابية التوجيهية في السورة الكريمة، ولحظ البحث أظهر التراكيب، على هذا النحو:
1. كثرة الجمل الاسمية على حساب مساحة الجمل الفعلية، والجمل الاسمية في أصل وضعها تفيد ثبوت شيء لشيء استقراراً وديمومة، من غير تجدد، إلا إذا لزت بها قرائن تفيد ذلك، ومن أمثاطها:
- بسم الله الرحمن الرحيم
- على نية: البداءة بسم الله، فهي هنا تلمح إلى سلوك، ينبغي أن يتحذر فيه المسلم، وهو البدء بقدرة الله وإرادته وعونه. أما إذا جعلنا المقدر جملة فعلية فهي تفيد التكرار، والاعتیاد التلقائي، الذي يستحيل مع الزمن إلى جملة في سنخ المسلم.

2. التقديم والتأخير، وذلك بنية الحصر، قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين. والأصل: نعبدك، ونستعين بك، فتقدم المفعول وتضامت إليه (إيا) فصار إياك، وذلك بقصد أن تكون العبادة محصورة مقصورة في ذات الله، سبحانه، من غير أداة حصر (31).

ومثلها: إياك نستعين: فالأصل نستعين بك. وفي إعراب إياك خلاف في الإفراد أو التركيب (32).
وثمة علاقة بين تحولات البنية الشكلية والتشكيل الدلالي، وذلك في رصد ما يجري للبنى اللغوية من تحولات في سياق الوظائف اللغوية التي تؤديها، إذ نقرأ أنظمة العلاقات قراءة تبدأ من القدرة الداخلية وصولاً إلى ترتيب الإنجاز ضمن أنساق تجري وفق المعنى المراد... وهذا توظيف للقيم التعبيرية في تتابع خاص مداره وضع الألفاظ الموضع الذي ينبغي أن تكون فيه استجابة للمعنى الذي يريد المتكلم (33) وقد أشار عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة إلى قيمة العلاقات في تراتيب الكلم فقال: الألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلوا أنك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نشر فعددت كلماته عدداً كيف جاء واتفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي عليه بني، نحو أن تقول في: قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل: منزل قفا ذكرى من نيك حبيب، لخرجه من كمال البنيان إلى مجال الهديان (34).

ولا مشاحة أن لنظام العلاقات في التراكيب تأثيراً مشهوداً في إقامة المعنى على وجه دون وجه، وهو باب لطيف عظيم، اعتده ابن جني من شجاعة العربية.

ولحظناه في هذا النظام النحوي البديع في السورة.

3. أسلوب الحذف، وذلك في قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين.

أي غير صراط المغضوب عليهم، ولا صراط الضالين، حذف للإيجاز والاختصار، وللعلم بهما من سياق الكلام.

" والحذف باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبين " (35).

فالنص تغوله التحولات بالتنقص أو بالزيادة فيتفطن إليها القارئ المدقق بتوظيف التقديم والتأخير، والحذف والزيادة، والتكثير والتعريف، والفصل والوصل، وكل تحول في المبني لا مشاحة في أنه يؤثر على نحو ما، في تشكل المعنى، وقد ضرب الجرجاني لذلك التحول في طبقات المبني بقولهم: عبد الله قائم: إخبار عن قيامه. وقولهم: إن عبد الله قائم جواب عن سؤال سائل، وقولهم: إن عبد الله لقائم جواب عن إنكار منكر (36).

ولا ريب في قالة الجرجاني بأن ما يؤثر في تشكيل الخطاب اللغوي، هو هذا الحراك اللغوي في منظومة العلاقات النحوية، الأفقية أو العمودية. وإن كان بعض المحدثين قد رفض نظرية الحذف في تركيب الجملة العربية، بل هذا النمط من الجمل: الجملة ذات الطرف الإسنادي الواحد في مثل أوجه الحذف التي اعتادها القدامى⁽³⁷⁾.

وهذه الدعاوى أصداء تشكل نفخة في رماد، أو صيحة في واد للدعوة التي أذن بها ابن مضاء، ولكن لا ابن مضاء ولا غيره قدر أن يأتي بديل مقنع خياراً جديداً لتلكم الطروحات الراسخة التي أصلتها نظرية النحو العربي المتجدرة، بل ظلت هذه الدعوات هيئتم تخفت ثم تتلاشى، وأما الزيد فيذهب جفاء. وأسلوب الحذف راسخ في المعطيات اللغوية، وفي أسلوب القرآن الكريم يجسد الإيجاز والتفنن في تضاريس اللغة ومعطياتها، كيما يزيد اللفظ إيجازاً والمعنى حرارةً وحلاوة.

4. كثرة النعوت والتوابع في السورة الكريمة: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك، الصراط المستقيم، صراط الذين، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين.

ينم على مقصد التمرکز والتمحور حول الذات الإلهية لتعريفها، أو حول المنح الربانية بغرض تعضيدها وبيان جزيل قيمتها، ثم لترسيخ الرسالة الدينية المستهدفة في هذا السياق، وتأكيدا على نحو يجعل المتلقي يلظ بها على نحو ملتب ويظل يلاحق دينه ويتابعه.

5. أسلوب التكرار وذلك في مثل قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم.

والقيم التعبيرية الثابوية في طبقات النص في التكرار هو التأكيد، والمبالغة في الإبلاغ، وتحسيد المعنى المراد، أو الإلحاح عليه بقصد إبرازه لافتاً ذهن المتلقي فيشكل الخطاب مكثفاً قوياً. فالتركيز على الذات الإلهية في مقاصد توحيدية، مطلب مشتهر، والناس إذ ذاك لصيقون بالشرك، والتزلف بالأصنام، فأراد النص أن يوجه الناس إلى العبادة لله وحده، والاستعانة به وحده، كيما يخلصهم من مستنقع الشرك، ولكي يجفف منابع الضلال وتوزع في الطرائق القدد التي تنكبوا بها عن سمت الحق والصواب.

والتكرار يوحى بالثبات على القيم والمبادئ.

6. تركيبية الأفعال الموظفة في السورة:

في السورة فعلاان مضارعان: (نعبد ونستعين). مضارعان بصيغة المتكلم الجماعي لغرض التجدد والاستمرار عبر الحقب والأزمان. وجاء الفعلان على صورة الجماعة ليعين عظمة الخالق، وعلو شأنه، وهذان جديران بحراك جماعي اجتماعي، موحد متوحد نحو الخالق، يشبه أن يكون جاهة جماعية تليق بالذات الإلهية، لا ينهض بها فرد واحد، ولا يليق، ثم ليصير هذا التوجه حالة مركوزة في نفس المؤمن كلما حزيه مكروه.

ووظفت الفعل (أنعمت) بهذه الصيغة الماضية المتعلقة بالذات الإلهية ليبين للمتلقي أن هذا الحكم، وهو النعمة، صار قادراً مقدوراً، وحكماً مقطوعاً فيه، ثابتاً، لا يباحرهم، فكأنه مضى أمر الله فيه وقدر، فصار يشبه أن يكون بشارة برسوخ هذه الموهبة من لدن رب العالمين، لإغرائهم بالإقبال على هذا السميت الحنيف. فوظف له الفعل الماضي (أنعمت) اللائق به.

ووظف النص القرآني الفعل: (اهدنا) وهو فعل أمر يفيد الدعاء، وهو طلب الهداية إلى الصراط الحق، وإلى الاستقامة، وهو معقد السورة كلها، وموئل رجاء المسلم أن يهديه الله نحو طريق الاستقامة، لينهض برسالته، مفارقاً سبيل الضالين، أو المغضوب عليهم.

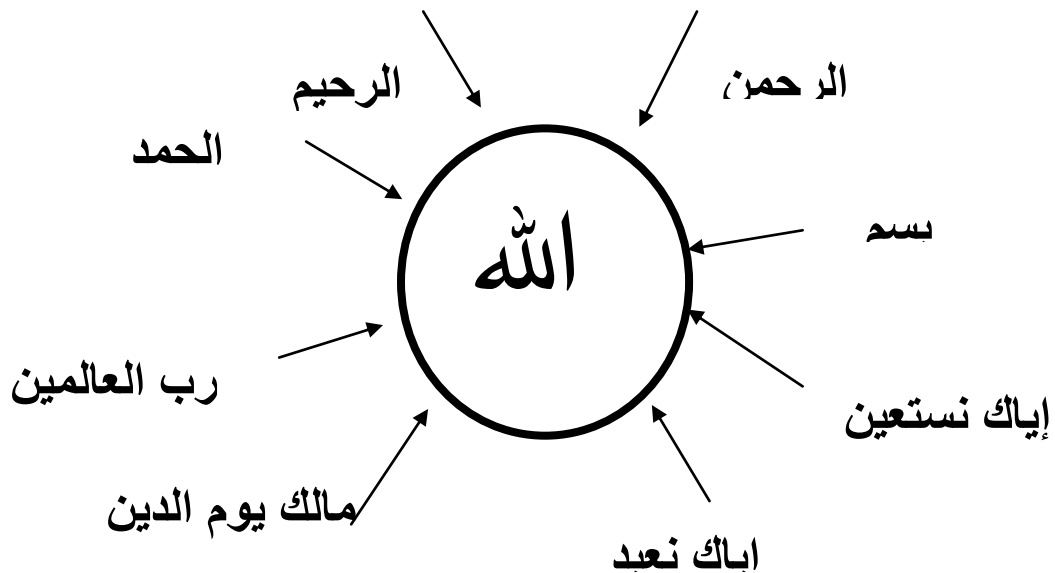
فالحركة الزمانية الفعلية لدى المتلقي هو: نعبد ونستعين، ونطلب الهداية. تقابله حركة الذات الإلهية بالمن الرباني، والثواب والجواب (أنعمت) عليكم لتعزيز السلوك البشري الناجز الصادع بأمر الله.

ويلحظ في البناء النحوي السهولة وقلة الانزياحات اللغوية، لئلا يرهق الذهن الوليد لدى المسلم في بدء الدعوة الإسلامية بالتشاغل في التراكيب والمرجعيات اللغوية عن الرسالة التي تستهدف الفكر والسلوك، وجاءت هذه العلاقات مسمحة تجسد تلكم الأنظار بأريحية لائقة، تتعاقب الأفكار السامقة، واللغة السامية التي وظفتها السورة الكريمة، في فريدة البناء، وعمق الأفكار وجدتها.

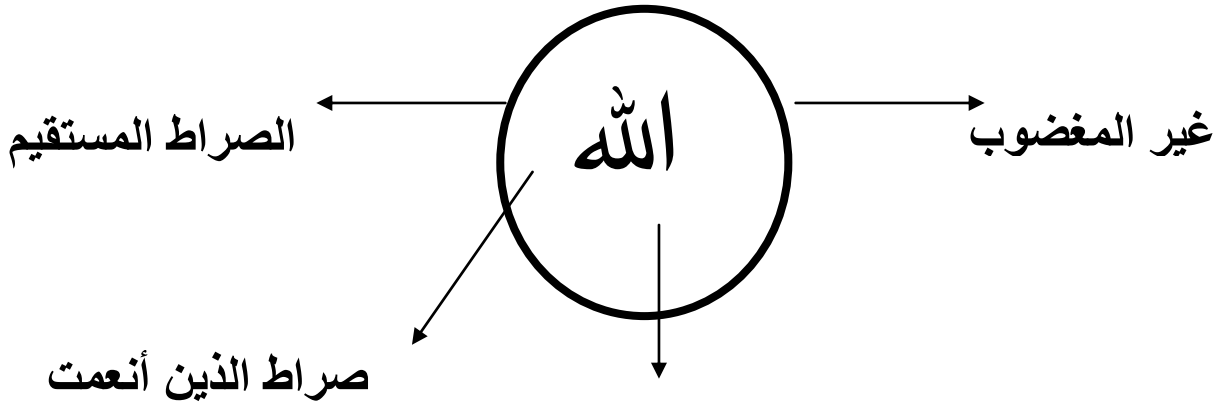
4. المستوى المعجمي الدلالي:

جو السورة مفعم عابق بالرحمة والتراحم، والإلحاح على الهداية، كل ذلك يتنزى بالرحمة والتراحم، والتمحور حول الذات الإلهية المسمحة بالجود، بما يجسد ذلكم الاستقطاب الإلهي من خلال الرحمة والعفو والتراحم لعباده، فكل شيء لصيق بذاته العظمى " والبنى العميقة التي يقيمها النص، والمفردات بدلالاتها هي المسؤولة عن تشكيل طبقات الدلالة وتنوعها " (38).

ويبدو هذا التلاحم والائتلاف من هذه المنظومة، والأسهم تتجه نحو الذات الإلهية:



وبناءً على هذا الحراك من بني البشر، والتوجه المقيم إليه، سبحانه بدت هذه الفيوضات والرحمات الربانية، استجابة لدعوات عباده:



ولا الضالين

فتنزلت الرحمات من لدن الخالق، عز وجل، فبدا هذا التلاحم الحنون والتعاطف المذهل بين الخلق المتوجهين بقلوب سليمة، إلى الخالق الرحمن الرحيم، فوقع الرضوان من الله، وتحققت السعادة والسكون والهدوء من العباد، وظلوا أبداً يستمسكون بهذه الرسالة، ويستبقون هذه العلاقة الدافئة.

حمد وإيمان وعبادة وثناء ← رضوان وهداية من الله

فظل هذا ناموس الكون سحيس الليل وأبد الدهر، وتحققت السعادة لدى كل مسلم، واستراحت النفس بجانب الله، ومضت تعمر الأرض مطمئنة راضية مرضية، فلا قلق، ولا خوف، ولا وهن، ما دام المرء يحافظ على هذا السم، ويؤدي هذه العلاقة في نفسه وسلوكه وعلاقاته.

فالسورة في أصوتها، ومفرداتها، وتراكيبها، رسمت علاقة طيبة من الود والرحمة، وحددت معالم اتفاقية ندية رضية مسمحة يستروحها المسلم في ظلال الحق، فيؤدي الرسالة بأمان وحق وعدل وسلام.

المحاور الإيمانية نوحها، فيما يلي، وهي تؤشر على عمق هذه القيم والمعاني وكثرتها، وهذا يفسر لنا جانباً من الأسرار الفكرية والمعاني والقيم الدينية التي تنطوي عليها السورة ومنها:

1. حقل العقيدة: رب العالمين، إخلاص ربوبية الكون لله.
2. حقل العبادة: إياك نعبد.
3. حقل التشريع: الحمد لله.
4. حقل الإيمان باليوم الآخر: مالك يوم الدين.
5. حقل صفات الله وأسمائه الحسنى: الرحمن الرحيم.
6. حقل أفراد الله بالاستعانة: وإياك نستعين.
7. الاسترحام وطلب الهداية: اهدنا الصراط المستقيم.
8. تجنب طرق المغضوب عليهم، والضالين، وأهل الزيغ والضلال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

9. حقل الإشارة إلى الأمم السالفة: أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، الضالين: من غير حدود. واللافت للنظر أن مجمل هذه الحقول الدلالية الواعية، هي جل ما انطوى عليه الخطاب الرباني، في سور القرآن المباركات، ومن هنا هذا الإعجاز اللافت في هذه السورة، إن في جملة القيم الدينية التي احتقبتها، وإن في المنظومة الأسلوبية اللغوية التي احتضنتها وأسأغتها إلى البشر. فكأن هذه السورة احتملت جل التوجيهات القرآنية، ومن هنا سرها. ولعل في هذا ملمحاً إعجازياً أشرنا إليه في المستهل، هو هذا التلاحم المعجز بين محتوى السورة، ولغتها وأسلوبها.

5. المستوى الأسلوبي:

احتوت هذه السورة على قصرها جملة من المظاهر الأسلوبية المتدفقة، أضفت على السورة ألقاً، ينم على هاتيك الطلاوة والحلاوة، فجاءت غنية متموجة منسجمة سمحة، تحس عذوبة وبرداً، ينقع الغلة اللغوية أو الأسلوبية أو الفقهية، أو الإيقاعية الملذدة الآسرة، وسيطيف البحث ببعض مفاصلها، على النحو الذي تراءى له، بما فتح الله عليه:

1. حسن المطلع، وجودة الاستهلال:

قوله تعالى: الحمد لله رب العالمين

مطلع وجيز يحكي لك محتوى السورة كلها، وينفحك بمهاد إشاري إلى مجمل الخطاب وإشكالاته، ويضيء لك خط التكليف الشرعي، أو التوجه الديني، وذلك ملموح في كثير من قصار السور: قل هو الله أحد، لخصت مقاصد السورة ومناحيها وما بقي من سائر السورة إضافة أو تفسير، يتمحور حول الافتتاح، ومثله: قل أعوذ برب الناس وخلافهما. ولعل هذا الملحظ يأتي ترجمة لما درج عليه الخطاب الفني في ذلك الإبان، وصار شنشنة مألوفة في المعايير النقدية العربية المتقدمة، الذي عرف بعمود الشعر، تجذر فيه الخطباء والشعراء.

2. التقديم بين يدي الموضوع أو الخطاب، وهذا لمسناه في المقدمة الطويلة بين

يدي الخالق قبل أن يدلف إلى حاجته الرئيسة، وهو طلب الهداية:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، إياك نعبد وإياك نستعين، وبعد أن ترمم العبد وتلذذ بذكر صفات الله، والثناء على قدرته، وتفيأ في أكنافه، عز وجل، وأحس متعة، رغب لو تطول، شرع يذكر حاجته الرئيسة، ومبغاه المقصود، فانطلق لسانه وحنانه: اهدنا الصراط المستقيم.

ولعل هذا ترجمان وصدى لما درج عليه العرب في تواصلهم، والله المثل الأعلى وهو ملموح في كثير من المقدمات الشعرية التي أظنوا بها، ومردوا عليها وأوطأ الخلف في أثر السلف، فكأنها غدت جبلة في نجرهم، فجاء القرآن الكريم يخاطبهم على وفق معاييرهم، ليكون أكثر تقبلاً وإعجازاً، مع اختلاف في الأشكال والقيم، وطرائق الأداء، وتقنيات التوظيف، فهو قريب بعيد منهم، ولعل هذا المنهج يجسر بينهم، ويروضهم على استرضاء هذه الأساليب والدنو منها لفحصها ومن ثم يقع التواصل والتفاعل.

3. المبالغة في الثناء والحمد، وذلك في استعمال ال التعريف كثيراً، ولا سيما قوله تعالى:

الحمد لله، ليعود المسلم الالتصاق بالذات الإلهية، ثم ليبين له أن الله خالق بهذا الحمد، حقيق بهذا الثناء، وهو خلق طيب أصيل، فيه اعتراف بالجميل، لئلا يستحيل الإنسان إلى مخلوق كنود.

4. توظيف أسلوب الاختصاص والتخصيص، وذلك في قوله تعالى: الله، وهو مستحق

ذلك، ينبغي أن يكون ولاء المرء محصوراً في خالقه أبداً.

5. أسلوب التقديم والتأخير، في قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين. بقصد الحصر، وقد

أحنا إلى ذلك في المستوى النحوي التركيبي، وعالجناه ثمة.

6. أسلوب التخصيص بعد التعميم:

اهدنا الصراط المستقيم، تعميم.

صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين. تخصيص ليظل لائطاً لاصقاً

بنفس المتلقي، بالثبوت والتوضيح، وهو أسلوب مألوف في سنن العربية.

7. الالتفات: وهو الانتقال بالكلام من جهة إلى أخرى، كي تبث في الكلام أنسام

التجدد والتنوع، وتتوقى الإملال، وتبعث في الخطاب حرارة وإسماحاً. ومنه قوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين، انتقل من خطاب الغيبة إلى المخاطب. وفي ذلك التحول تجديد وتنوع.

8. أسلوب الحذف: وهو أسلوب يشحذ الذهن، ويشد القارئ، ومنه قوله تعالى: صراط

الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، والأصل: غير صراط الذين أنعمت عليهم، وغير صراط الضالين، ونعته هنا أيضاً إيجاز حذف.

9. السجع اللغوي الذي يسبغ على النص إيقاعاً ملذاً، يفضي إلى الترم والتلذذ بالإيقاع

المهادئ، والنغم الرخي، الواقع في التبادل بين فاصلتين: الميم: الرحمن الرحيم، والصراط المستقيم.

وفاصلة النون: نستعين والضالين وهذا التجاور العفوي بين أصوات الميم في منظومة متشاكلية، بما يريح السمع، ويلد القارئ، بهذا التنوع الخصب، فتجده ينقلك من إيقاع إلى إيقاع، فضلاً عن ذلك الإيقاع الداخلي الفذ الذي يحيل جو السورة إلى قطعة فنية تتلقاها الأذن باسترواح واستعذاب، ومعروف لكل ذي حجر أن التتمط ممل، والتنوع ملذ، والله فعال لما يريد (39).

10. التنوع بين الحمل الخبرية والإنشائية:

الحمد لله: ظاهرها خبرية، بيد أن دلالة إنشاء طلبي، أي قولوا: حمداً لله. وثمة قراءة فتح الدال، إيداناً بهذا (40).

ومثله الجملة الإنشائية: اهدنا الصراط المستقيم، فهو أمر يراد به الدعاء. ثم لاحظ التدرج في الاستدراج وإزالة حاجز الخوف، في البدء لم يجزؤ المسلم أن يبدأ بجملة إنشائية بل يجزؤ يلمح منه الإنشاء، ولما وقع التواصل خف إلى الدعاء: اهدنا. فالخبر الذي ينطوي على أمر أليق بالخطاب، وأروح للنفس، من قبل أن النفس نزاعة عن تلقي الأوامر الفوقية. فسبحان الذي أعز عباده وكرمهم وعلمهم أدبيات الحوار والحديث.

11. إطالة الحوار مع الذات الإلهية قبيل طلب الهداية، ولعله قصد إطالة الوقت في الوقوف بين يدي الله قبل أن تشرع تطلب حاجتك، وهو ملمح بشري مألوف. فالغرض الذي يترماه النص القرآني، والله أعلم، هو تطويل الحوار بين الخالق والمخلوق، والتمتع بهذه الفرصة، والأريحية الغامرة في الانسجام مع النفس، ومع الروح التي تنعو إلى خالقها، متحللة من تراب الأرض، وشواغل الجسد، سامية إلى الذات العليا، وذلكم بين في موقف الحمد والثناء، والإطالة في تحديد الطلب، وتبيان أبعاده وأشراطه، وهي أشراط المؤمل، لا أشراط المدل. والله غالب على أمره.

12. المفردات والتراكيب سهلة، مريحة الإيقاع على الأذن، لزت في قرن واحد والانزياحات اللغوية قليلة، والصور المتخيلة قليلة: صورة يوم الدين، صورة الدين والصراط المستقيم، ليكون الخطاب سائغاً واضحاً صريحاً يشف بأريحية فلا مجال للتعقيد بالصور البعيدة، أو الإشكالات العقلية المعقدة، إنها خطاب واضح صريح، ومحاور شائقة بين العبد وربّه بأدب وخشوع وتمثل لكل الرحمة والرغبة اللدنية.

13. رسمت السورة صورة للمسلم الحق، إذ يقيم علاقة بين نفسه وخالقه، كل يوم في هذه المناجاة الممتدة، كلما وقف بين يدي ربه، يؤدي استحقاقاً دينياً، أو تعبدياً، وهي غاية في الأدب والخلق وصدق المناجاة. والله الأمر من قبل ومن بعد.

14. تناول الجمل أحياناً وقصرها في حين آخر، على وفق الخطاب الديني، والمقاصد

المتوخاة.

خلاصة البحث:

من المفيد أن نقدم فذلكة موجزة لما لمسناه في هذه السورة من وقائع لغوية تترى، وكلما أوغل المرء، التقط صنوفاً من الفن والعلم والإعجاز اللغوي، والتربوي، والخلقي، والتشريعي، كل يمتح على قدر فهمه، وعلى قدر ما لدينا من قدرة متواضعة ظفرنا بالنتائج الآتية، وهي كما قلت: قل من كثر:

1. انطوت سورة الفاتحة على أسرار لغوية جمّة، ترقى إلى مستوى الأسرار العقديّة والفكرية فيها.

2. بدت هذه السورة الكريمة معجزة في مستواها الصرفي، إن في المفردات المختارة لأداء الخطاب الديني، وإن في الأدوات الموظفة لهذا الغرض فشكلت اثتلافاً في هذا الفضاء الرحب الملمذ من الأصوات والمقاطع التي اثتلقت في مفردات لا ثقة لجو السورة، وخطابها المقصود.
3. التراكيب النحوية في السورة مسمحة رضية، لا تعقيد، ولا التواء ولا تعسف، بل تنجبت السورة من الأساليب ما ينقل الأفكار بدقة ومباشرة وأريحية، واستحقاق سوي.
4. حفلت السورة بعدد جم من الأساليب والفنون، والتقنيات المتنوعة مما أضفى على السورة الكريمة رواء وحلاوة، وإيقاعاً في جمل متطاولة توحى بالهدوء والأمل والاطمئنان بين يدي رب العالمين.
5. السورة الكريمة معجزة في أفكارها وطروحاتها، يوازيه إعجاز وفصاحة في المستوى اللغوي والأسلوبي فجاءت كاملة متكاملة، منسجمة متناسقة، لا يخل أحد الطرفين بالآخر، والكمال لله وحده. والله أسأل أن يلبسه ثوب القبول، وأن ينفع به، إنه أكبر مسؤول. والحمد لله أولاً وآخراً، وأستغفره من الزلل.

الهوامش:

- (1) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار التراث، 133/1.
- (2) الإسفرابيني: فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن، ص 90.
- (3) د. عبد القادر الفهري: اللسانيات واللغة العربية، الكتاب الأول، بغداد، ص 39.
- (4) ماريوباي: أسس علم اللغة، 43، 119 وينظر محمد الانطاكي: الوجيز في فقه اللغة، 149.
- (5) سيوييه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، 10/4.
- (6) السيوطي: المزهري، 47/1.
- (7) ابن جني: الخصائص، 553/1.
- (8) نفسه، 557/1.
- (9) عدنان بن ذريل: اللغة والأسلوب، 69.
- (10) نفسه، 68.
- (11) نفسه، 46.
- (12) ابن جني: الخصائص، 163-162/2.
- (13) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، هامش 79، ترنس هوكز: النبيوية، 22.
- (14) إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، 78.
- (15) ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، 95.
- (16) نفسه، 98.
- (17) فندريس: اللغة، ترجمة الدواخلي، وقصاص، 162، القاهرة، 1970م.

- (18) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغة السامية، 100؛ يحيى عبابنة: التطور السيميائي لصور الكتابة العربية، 152؛ يحيى عبابنة: النظام اللغوي لهجة الصفاوية، 146، 149.
- (19) محيي الدين رمضان: في صوتيات العربية، مكتبة الرسالة، 164؛ ومحمد الانطاكي: الوجيز في فقه اللغة، 192.
- (20) إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، 66-67.
- (21) محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، 101-102؛ تمام حسان: مناهج البحث، 167.
- (22) مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن، 243.
- (23) سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، 85؛ الخطابي: بيان إعجاز القرآن، 24.
- (24) فهد عبد الرحمن الروحي: خصائص القرآن الكريم، 26.
- (25) محمد الانطاكي: الوجيز في فقه اللغة، طبعة ثالثة، دار الشروق، 258.
- (26) عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه، عالم المعرفة، ص 286.
- (27) المرادي: الجني الداني، 38؛ الإسفراييني: فاتحة الإعراب، 90.
- (28) ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة، 18. وينظر الإسفراييني، 68.
- (29) المرادي: الجني الداني، 38؛ الإسفراييني: فاتحة الإعراب، 90.
- (30) الإسفراييني: فاتحة الإعراب للإسفراييني؛ ابن خالويه: 18.
- (31) محمود حسني: النحو الشافي، 279؛ عبده الراجحي: التطبيق النحوي، 36.
- (32) الفراء: معاني القرآن، 3/1؛ مكي بن أبي طالب: مشكل إعراب القرآن، 10/1؛ العبكري: التبيان في إعراب القرآن، 7/1.
- (33) عبد الله عنبر: نظرية النحو الجرجاني، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، مجلد 29، عدد 2، عام 2002م، صفحة 377.
- (34) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 2.
- (35) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، 88-89.
- (36) نفسه، 242.
- (37) محمد عيد: أصول النحو العربي: 217؛ عبد المجيد عابدين: المدخل إلى دراسة النحو العربي، 61؛ عبد الرحمن أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، 158.
- (38) عبد الله عنبر: نظرية النحو الجرجاني، 378.
- (39) أبو حيان: البحر المحيط، 1-31.
- (40) الرماني: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، 90.

ثبت المصادر والمراجع

1. إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، الأجلو المصرية، 1979م.
2. إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، 1980.
3. الإسفراييني: فاتحة الإعراب في إعراب الفاتحة، تحقيق د. عفيف عبد الرحمن، منشورات جامعة اليرموك، اربد، 1981م.

4. ترنس هوكرز: البنيوية، ترجمة مجيد الماشطة، بغداد، 1986م.
5. تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1979م.
6. ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.
7. أبو حيان: البحر المحیط، مطبعة السعادة بمصر، 1328هـ.
8. الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد زغلول سلام، دارالمعارف.
9. ابن خالويه: إعراب ثلاثين سورة، المكتبة الثقافية، بيروت.
10. الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد زغلول سلام، دارالمعارف.
11. ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة، ترجمة د. كمال بشر، دار غريب، القاهرة.
12. سيويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت.
13. سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت.
14. السيوطي: الزهر في علوم اللغة، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه، دار الفكر.
15. عبد القادر الفهري: اللسانيات واللغة العربية، بغداد والرباط، 1982م.
16. عدنان بن ذريل: اللغة والأسلوب، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1980م.
17. عبد الرحمن أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، مطبعة مخيمر، القاهرة.
18. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، 1978م.
- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، دار المعارف، بيروت، 1978م.
19. عبد المجيد عابدين: المدخل إلى دراسة النحو العربي، القاهرة، 1951م.
20. عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار النهضة العربية، بيروت.
21. عبد الله عنبر: نظرية النحو الجرجاني، مجلة دراسات، الجامعة الأردنية، مجلد 29، عدد 2، عام 2002م.
22. عبد العزيز حمودة: الخروج من التيه، عالم المعرفة، 298، عام 2003م.
23. العكبري: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البحاي، الناشر عيسى البابي الحلبي.
24. الفراء: معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار وزميله، عالم الكتب، بيروت، 1980م.
25. فندريس: اللغة، ترجمة الدواخلي والقصاص، القاهرة، 1950م.
26. فهد بن عبد الرحمن الرومي: خصائص القرآن الكريم، الرياض، 1409هـ.
27. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار التراث، بيروت.
28. ماريو باي: أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، 1983م.
29. محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم، دار القلم، الكويت.
30. محمد علي الخولي: الأصوات اللغوية، دار الفلاح، عمان.
31. محمود حسني: النحو الشافي، دار البشير، عمان، 1991م.
32. مصطفى صادق الرافعي: إعجاز القرآن، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، 1965م.
33. مكي بن أبي طالب: مشكل إعراب القرآن، تحقيق ياسين السواس، دمشق.
34. محيي الدين رمضان: في صوتيات العربية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان.
35. محمد عيد: أصول النحو العربي، عالم الكتب، القاهرة، 1976م.
36. المرادي: الجني الداني، تحقيق د. فخر الدين قباوة وزميله، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

37. يحيى عبابنة: التطور السيميائي لصور الكتابة العربية، جامعة مؤتة.
يحيى عبابنة: النظام اللغوي للهجة الصفاوية، جامعة مؤتة، 1997م.